

القَصَصُ الدِّينِيُّ
الحلقة الثانية
قِصَّةُ السَّيِّدَةِ

النَّبِيُّ الصَّالِحُ

عبد الحميد جودة السحار

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ وَفِي يَدِهِ غُلَامٌ ، وَقَالَ لَهُ :
— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَنْسَاءَ غُلَامٍ كَيْسٌ ،
فَلِيُخْدُمْكَ .

فَرَّاحَ أَنْسٌ يُخْدُمُ النَّبِيَّ فِي سَفَرِهِ وَفِي إِقَامَتِهِ ،
فِيَزِدَادُ حُبًّا لَهُ ؛ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا بِهِ
شَفِيقًا ، وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ ، أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ ،
فَخَرَجَ أَنْسٌ ، وَمَرَّ عَلَى صَبِيَّانِ وَهُمَا يَلْعَبُونَ فِي
السُّوقِ ، فَوَقَّفَ يَلْعَبُ مَعَهُمَا ، وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى حَيْثُ
أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

ومرّ الوقت ، وخرج رسول الله إلى السوق ،
فرأى أنسًا يلعب ، فذهب إليه ، وقبضَ بِقَفَاهُ من
ورائه ، فنظرَ أنسٌ خائفًا ، فرأى رسول الله
يضحك ، ويقول له :

- يا أنس ، ذهبتَ حيثُ أمرْتُكَ ؟

فقال له أنس :

- نعم ، أنا ذاهبٌ ، يا رسول الله .

وذهبَ أنس ، ولم ينهره النبي ﷺ . لقد خدّمه
أنسٌ تسعَ سنين ، وما قالَ له لشيء صنعَه : لم
صنعتَ هذا ؟ ولا لشيء لم يصنعه : لِمَ لم تصنعْ
هذا ؟ وإذا لامَ أحدٌ من أهله أنسًا ، قال له :

- دعوهُ ، لو قدرَ أن يكونَ كان .

فقد كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناسِ خلقًا .

وكان رسول الله ﷺ رحيمًا ؛ يرحم الضُّعْفَاءَ ،
ويُحِبُّ الأَطْفَالَ حتَّى إِنَّه كان يخرجُ إلى الناسِ
- إذا جاء أوانُ الصَّلَاةِ - وعلى عاتقه طفلٌ أو طفلةٌ
من أبناءِ أصحابه ، ويُصَلِّي والطفلُ على كَتِفِهِ ، فإذا
ركعَ وضعه ، وإذا رفعَ رفعه .

وفى ذاتِ يومٍ ، دخلَ عليه بعضُ الرِّجالِ ، وهو
جالِسٌ وفى حِجْرِهِ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ ، يضمُّه فى
رَفَقٍ ، ويُقبِّلُه فى حَنانٍ ، فأنكرَ الرِّجالُ منه ذلكَ ،
حتَّى إنَّ أحدهم قال :

- إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ ، مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا !!

فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ :

- مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ .

وَقَالَ لَهُ أَعْرَابِيٌّ فِي انْكَارٍ :

- تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ ، فَمَا نُقْبَلُهُمْ !!

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ ؟

كَانَ رَحِيمًا ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ؛

ابْنَ مَوْلَاهُ ، فَيُقْعِدُهُ عَلَى فَخْذِهِ ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى

فَخْذِهِ الْآخَرَى ، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ، ثُمَّ يَقُولُ :

- اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا ، فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا .

وكان يعطف على الحيوان ، ويحض المسلمين
 على العطف عليه ... كان رءوفاً بناقته العُضباء ،
 وببغلته دُلْدُل . وكان يُوصي أصحابه بالحيوان
 خيراً ، حتى إنه قال لهم ذات يوم :

— بينما رجلٌ يمشى بطريقٍ اشتدَّ عليه العطش ،
 فوجدَ بئراً ، فنزلَ فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا
 كلبٌ يلهث : (يُخرجُ لسانه من العطش) ، يأكلُ
 الثرى : (التراب) من العطش ، فقال الرجل :
 — لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطش ، مثلُ الذي

بَلَغَ بِي .

فَنَزَلَ الْبُئْرَ ، فَمَلَأَ خُفَّهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ، فَسَقَى
الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ .

فَقَالَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟

فَقَالَ لَهُمْ ﷺ :

- فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ (أَى فِي كُلِّ مَا
تَدْبُ فِيهِ الْحَيَاةُ) .

٤

وَكَانَ رَءُوفًا بِالضُّعْفَاءِ ، يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِرِعَايَتِهِمْ ؛
وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ ، جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يَشْكُو مِنْ أَنَّهُ

لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَلِّيَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ النَّاسِ ، لِأَنَّ
الْإِمَامَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَحْتَمِلَ الْوُقُوفَ الطَّوِيلَ ، وَالرُّكُوعَ الطَّوِيلَ ، قَالَ
الرَّجُلُ :

— يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكَادُ أَتْرُكُ الصَّلَاةَ ، مِمَّا يُطَوَّلُ
بِنَا فُلَانٍ .

فَغَضِبَ النَّبِيُّ ، فَهُوَ مَا جَاءَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ ، وَمَا
كَانَ يَقْبَلُ أَنْ يُعَذَّبَ الضُّعْفَاءُ الرَّاغِبُونَ فِي صَلَاةِ
الْجَمَاعَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

— يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ ، فَمَنْ صَلَّى
بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ ، وَالضُّعِيفَ ،
وَذَا الْحَاجَّةَ .

وكان رسولُ الله ﷺ كريماً ، فكان إذا وجدَ
مُحتاجاً أرسله إلى بلال ، وكان خازنه ، ليطعمه
ويكسوه ، وفي ذاتِ يوم ، دخل رسولُ الله ﷺ
على بلال ، وعنده صُرَّةٌ من تمر ، فقال له :
- ما هذا يا بلال ؟

فقال له بلال :

- يا رسولَ الله ، ادَّخرته لك ولِضيفانك .
فقال له رسولُ الله ﷺ :

- أما تخشى أن يكونَ له بُخارٌ في النار ؟ أنفقُ
بلالٌ ولا تخش من ذى العرشِ إقلالا .

وكان يُعْطَى السَّائِلِينَ مُسْتَبَشِرًا ، لا يَنْهَرُهُمْ وَإِنْ
آذَوْهُ . كان يَمْشِي مَرَّةً مَعَ خَادِمِهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
وكان على النَّبِيِّ ﷺ رِداءٌ غَلِيظُ الحاشِيَةِ ، فجاءَ
أَعْرَابِيٌّ ، وَجَذَبَ رِداءَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً ، أَثَرَتْ فِي
عُنُقِ الرَّسُولِ وَآلَمَتْهُ ، وقالَ الأعرابيُّ :

- يا محمد ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ .
فالتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ . لم يَثُرْ ولم
يَغْضَبْ ، وأَمَرَ لِلرَّجُلِ بِعِطَاءٍ حَمَلَهُ وانصَرَفَ شاكِرًا .

وكان لا يردُّ سائلا ، ولا يتركُ مُحْتَاجًا دونَ أن يُعَاوَنَه ؛ خَرَجَ يَوْمًا وَمَعَهُ عَشْرَةُ دِرَاهِمٍ ، فَذَهَبَ وَاشْتَرَى قَمِيصًا بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ ، فَخَرَجَ وَهُوَ عَلَيْهِ ،
فَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَأْتِي إِلَيْهِ ، وَيَقُولُ :
- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اكْسُنِي قَمِيصًا ، كَسَاكَ اللَّهُ مِنْ
ثِيَابِ الْجَنَّةِ .

فَنَزَعَ الْقَمِيصَ فَكَسَاهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ رَجَعَ وَاشْتَرَى
قَمِيصًا بِأَرْبَعَةِ دِرَاهِمٍ ، وَبَقِيَ مَعَهُ دِرْهَمَانِ ، وَسَارَ
وَإِذَا بِجَارِيَةٍ فِي الطَّرِيقِ تَبْكِي ، فَقَالَ لَهَا :
- مَا يُبْكِيكِ ؟

فَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَبْكِي :

- يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَفَعَ إِلَى أَهْلِي دِرْهَمَيْنِ اشْتَرَى
بِهِمَا دَقِيقًا فَهَلَكَ (فُقِدَا) .

فَدَفَعَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّرْهَمَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ ،
وَهُمَّ بِالْإِنْصِرَافِ ، فَإِذَا بِهَا تَبْكِي ، فَدَعَاها وَقَالَ لَهَا :
- مَا يُبْكِيكِ وَقَدْ أَخَذْتَ الدَّرْهَمَيْنِ ؟

فَقَالَتْ :

- أَخَافُ أَنْ يَضْرِبُونِي .

فَمَشَى مَعَهَا إِلَى أَهْلِهَا ، حَتَّى إِذَا أَتَاهُمْ قَالَ :

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

عَرَفُوا صَوْتَهُ ، فَلَمْ يَرُدُّوا . فَقَالَ مَرَّةً ثَانِيَةً :

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

فَصَمَّتُوا وَلَمْ يُجِيبُوا . فَقَالَ مَرَّةً ثَالِثَةً :

- السلام عليكم .

فقالوا فرحين :

- وعليك السَّلام .

فقال لهم : « أَسْمِعْتُمْ أَوَّلَ السَّلام ؟ » .

قالوا :

- نعم ، ولكنَّا أَحْبَبْنَا أَنْ تَزِيدَنَا مِنَ السَّلام .

وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ عَمَّا جَاءَ بِهِ إِلَيْهِمْ .

قالوا :

- فما أَشْخَصَكَ ؟ بِأَيِّنا وَأَمَّا ؟

فقال :

- أَشْفَقْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ أَنْ تَضْرِبُوهَا .

فقال صَاحِبُهَا :

- هِيَ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللَّهِ ، لِمَمْشَاكَ مَعَهَا .

وانصرف رسولُ الله . وهو مُغْتَبِطٌ ، يقول :

— لقد بَارَكَ اللهُ في العشرة : كسا الله نبيّه

قميصا ، ورجلا من الأنصارِ قميصا ، وأعتق الله

منها رقبة ، وأحمدُ الله ، وهو الذي رَزَقْنَا هذا

بِقُدْرَتِهِ .

ومرَّ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يلوُمُ أخاه ،

لأنَّ عنده حيَاءٌ يمنعه من أن يفعلَ أشياء تُدرُّ عليه

أرباحا ، فقال له رسولُ الله :

— دَعُهُ ، فَإِنَّ الحياءَ من الإيمان .

كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل ،
فقال له :

— ما الإيمان ؟

فقال له الرسول :

— الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ،
ورسله ، وتؤمن بالبعث .

فقال له الرجل :

— ما الإسلام ؟

فقال له الرسول :

— الإسلام : أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم

الصَّلَاةُ ، وَتَوَتَّى الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

- مَا الْإِحْسَانُ ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ :

- أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ

يَرَاكَ .

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :

- مَتَى السَّاعَةُ ؟ (أَى مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ) ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ :

- إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ .

وَنَظَرَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوا الرَّجُلَ ، فَقَالَ الرَّسُولُ

ﷺ :

- هَذَا جِبْرِيلُ ، جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ .